الفصل الثالث

الشعر الإسلامي
ومحاور الإبداع الشعري

- المبحث الأول: مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى.
- المبحث الثاني: كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام.
- المبحث الثالث: استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى

لقد سبق تفصيل الحديث في مكانة فلسطين وقداسة أرضها، والأحداث الجسام التي مرتّ بها هذه البقعة المقدسة[1].

وأجمل هذه المترلة فيما يأتي:

- بعث الله -جلّ وعلا- في هذه الأرض كثيراً من الأنبياء عليهم السلام.

- تضم هذه الأرض مدينة القدس ذات المكانة المتميزة في عقيدة المسلم. وأول قبلة توجه إليها المسلمون.

- فيها المسجد الأقصى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام، وهو ثالث المسجدين الشريفين التي لا تشد الرحال إلا إليها.

- وصف الله هذه الأرض بصفات الطهر والقداسة والبركة في مواضع عديدة من القرآن الكريم.

وقد أطلقت أهمية هذه البقعة المقدسة مواجد الشعراء الإسلاميين، مغترفين من هذا المعين الثرّ. فتحدثوا في ثنايا قصائدهم عما تكنّه نفوسهم من إجلال لهذه الديار المقدسة.

---

(١) انظر المبحث الأول من الفصل الأول.

obeikandi.com

فهذا الشاعر خالد البيطار[١] يجليّ حادثة الإسراء والمعراج فيقول[٢]:

فهل النجومُ الزهرُ تـذكرُ ليلـةً ... فيها تجلّـى موكـبُ المختـارِ؟
لما سرى مـن بيتـه في مكـةٍ ... للقدسِ أرضِ النخبـةِ الأطهـارِ
ورأى هنـاك الأنبيـاءَ وأمَّهـم ... وتلاقـتِ الأنـوارُ بـالأنوارِ
سبحان من أسرى بـه في ليلـةٍ ... غراءَ رمـزِ النـورِ والإسـفارِ
هي للذين نسوا وتـاهوا عـبرةٌ ... ولجاهلين الـدربَ خـيرُ منـارِ
فيها عروجُ المصطفى عبرَ السّـما ... ولقـاؤه بالنخبـةِ الأبـرارِ
أنعِم بها من ليلةٍ كانـت علـى ... مـرِّ الزمـانِ منـارةَ التـذكارِ

تبين في الأبيات الصورة الجليلة لهذه الليلة المباركة التي تمّ فيهـا الإسـراء والمعراج. حين أمّ المصطفى ﷺ أنبياء الله، ثم عُرج به إلى السماء. فكانت هـذه المعجزة الغيبية منارة على مرّ الزمان.

أما الشاعر عمر الأميري فيبرز مكانة فلسطين في قوله[٣]:

((فلسطينُ)) يا آيةَ الله في الـ ... ـوجودِ ويا روضةً مـن سـناءْ
مقامُ ((الخليـلِ)) وعـزَّ المقـامُ ... وجلّ ((الخليلُ)) أبـو الأنبيـاءْ

(١) خالد البيطار: ولد في حمص عام ١٩٤٢م، نشأ ودرس في موطن ولادته ثم انتقل إلى دمشـق وحصل على شهادة أهلية التعليم الابتدائي ثم عمل في حقل التعليم في حمص، وحصل علـى الشهادة الجامعية من دمشق وعمل في التدريس في حلب وحمص، ثم انتقل للعمل في الأردن، وله ديوانان مطبوعان، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٢١٦.

(٢) أشواق وأحلام: ٣٨-٣٩.

(٣) من وحي فلسطين: ١٤.

وحضنُ ((البتولِ)) ومحرابُها ... ومهدُ ((المسيحِ)) صفيّ السماءْ
ومسرى رسولِ هدى العالمين ... ومعراجُه الفذّ يعلو العلاءْ
ليحظى بأسمى وأغلى ذرا ... وأسنى وأدنى وأرقى لقاءْ
فلسطينُ يا عروةً بين ((مكـ ... ـة)) و((القدس)) خالدةً من مضاءْ
وعهداً من الله في عنقِ كل ... أبيّ، وأعظِم بعهدِ الإباءْ
ودَيناً على كل حرّ وفيّ ... يروّي ثراكِ بحرِّ الدِماءْ

إنها فلسطين مهد الخليل أبي الأنبياء، ومهد مريم البتول وابنها المسيح عليهما السلام، وأرض الإسراء والمعراج. ويبرز الشاعر رباط القدسية الذي ربط بين مكة والقدس فكلاهما مهد المقدسات وسفر التاريخ الإسلامي، كما يعلن الشاعر عن مسؤولية كل مسلم أبيّ في الحفاظ على هذه المقدسات والذب عن حياضها.

وفي قصيدة ثانية يبرز الشاعر نفسه مترلة فلسطين في إطار من الحسرة والألم مما تعانيه تلك الديار بعد وقوع النكبة. فيقول[1]:

أرنو إلى الله والضراءُ تُحدِق بي ... ونكبةُ المسجدِ الأقصى على حَدَقي
على ((الخليل)) وكم ضاءت منائرُها ... في المسجدِ الحرمِ الأسنى من اليقَقِ[2]
على مرافعِ ((عيسى)) جلّ رافعُه ... على المراتعِ أضحت غصةَ الحَلَقِ
على مرابعِ قدسِ المجدِ باركها ... وحولَها اللهُ، وهي اليومَ في الرَّبَقِ
مسرى الرسولِ وأولى القبلتين بها ... واحرّ قلباه ماذا للفخارِ بَقِي؟
مالي أرى الصخرةَ الشماءَ في كمدٍ ... تذوي، وعهدي بها مرفوعةُ العُنُقِ؟
ومنبرُ المسجدِ الأقصى يئِن أسىً ... قد كان يحبو الدُنى من طُهرِهِ الغَدِقِ

(١) من وحي فلسطين: ٦٥-٦٦.
(٢) اليقق: البياض الناصع.

ويركز الشاعر في قصيدة ثالثة على حادثة الإسراء والمعراج مستوحياً من هذه المعجزة الغيبية الجليلة في ذكراها الأولى بعد حريق الأقصى، ومبرزاً حادث الحريق المؤلم. فيقول[١]:

مِلْءُ الملائك لهفة وهيام ... ترنو القلوبُ هوى، وتُحنى الهامُ
أسرى وسبحان الذي أسرى به ... فذرا السماءِ ينيرها الإلهامُ
حدث تفرد في الوجودِ جلالُه ... وجمالُه وجَداه والإنعامُ
يا يوم ((معراجِ الرسولِ)) وأنت في ... كرِّ الدهور هدايةٌ وسلامُ
عذراً إذا خنق البكاءُ تحيتي ... لك، والأبيّ على البكاءِ يلامُ
لكنه ((الأقصى)) وفي نكباتِه ... وحريقه، حبسُ الدموعِ حرامُ

كما كان حادث الحريق إطاراً لإبراز قدسية فلسطين ومكانتها لدى الشاعر كمال رشيد، إذ يجلو الشاعر منزلة فلسطين ثالث الحرمين الشريفين، وموطن الإسراء والمعراج. يقول[٢]:

يا ثالثَ الحرمينِ حرقُك نكبةٌ ... فيها يزيدُ الجرحُ والإيلامُ
يا موطنَ الإسراءِ خصمُك غادرٌ ... وسبيلُه التقتيلُ والإجرامُ
أسفي على الأقصى وقد عبثتْ به ... نارُ العدوّ وقد علاه قتامُ

وممّن تناول هذا الموضوع في الإطار نفسه، الشاعر كمال الوحيدي في قوله[٣]:

---

(١) من وحي فلسطين: ١٣٢.

(٢) شدو الغرباء: ٣٢.

(٣) هذا الطريق: ٨٠-٨١.

والله لو نطـــق الأقصـــى لأنّبنـــا حيث التخاذلُ بين الشعبِ والدولِ
إن اليهودَ عليه اليومَ قد جثمـــوا حتى يكاد يـــبين الآن كالطلـــلِ
قد دنسوه وعـــاثوا في قداســـته والمنبرُ الفذُّ قد ألقوه في الشُّـــعَلِ
سبحان من بعظيمِ الآيِ باركـــه في سورةٍ بصريحِ القولِ لم تـــزلِ
الحقُّ أبلجُ لكن أيـــن عصـــبتُه؟ أين النفيرُ إلى الأقصى إلى النفلِ؟

ونرى الشاعر نفسه في قصيدته ((مولد الهادي)) يبث مشاعر الحب الممتزجة بالأسى من أرض المسرى، من الأقصى الأسير. فيقول موجهاً حديثه إلى الـــنبي الهادي[1]:

إليـــك الحـــبُّ مـــن قلـــبٍ ولـــوعٍ هـــائمٍ صـــادي
ومـــن مســـراكَ أشـــواقٌ وقـــد أمســـى بأصـــفادِ
مـــن الأقصـــى تحيـــاتي وتَحنـــاني وإنشـــادي

ويرى الشاعر عدنان النحوي فلسطين وقد غلف الأسى والحزن أجواءها وهي التي كانت لؤلؤة الإيمان ودار الجهاد بأروع أمثلتـــه، وأرض الأنبيـــاء. فيقول:

يا فلسطينُ يا ربا المسجدِ الأقْـــ ـــصى حنانيكِ من أسى قتـــالِ
أنتِ حقُّ الإسلامِ لؤلؤةُ الإيـــ ـــمانِ دارُ الجهـــادِ والأمثـــالِ
أنت عهدٌ مضى لأحمد بالأقـــ ـــصى نادياً على جديد الليـــالي
والنبواتُ ومضة مـــن غيـــوبٍ شهدتْه، ووثقـــتْ مـــن حبـــالِ

(١) هذا الطريق: ١٩٥.

وها هو ذا الشاعر عصام الغزالي[١] ينظم قصيدة في أول يوم من العام الميلادي. فيقول موجهاً حديثه إلى نبي الله عيسى[٢]:

نبي الله يا عيسى ... وكان المهد في وطني
وكانت حوله داري ... وداري لم تعد سكني
وعاد الليلُ يا عيسى ... ظلاماً غيرَ مؤتمنِ
وأسرابُ الطيورِ البيـ ... ـضِ قد تاهت لتؤلمني
ورأسُ العام يا عيسى ... سرى في راكدِ الشجنِ

يبث الشاعر شكواه الملتاعة بعد أن غادر موطنه، حيث مهد المسيح - عليه السلام- يخيم عليه ظلام الخوف ورهبة الموت. والطيور البيض رمز السلام لم يعد لها وجود، فرأس العام يأتي والأشجان ما تزال جاثمة على الأرض المباركة.

أما الشاعر محمد التهامي[٣] فيناجي القدس مؤكداً مزاياها ومكانتها بين بقاع الأرض فيقول[٤]:

---

(١) عصام الدين الغزالي: ولد في المنصورة عام ١٩٤٥م، ودرس في مدارسها ثم التحق بجامعة القاهرة ودرس الهندسة الميكانيكية، ودرس في السعودية أصول الدين. أصدر ديوانين شعريين، انظر مختارات من الشعر الإسلامي: ٢٩٧.

(٢) من أوراق مخطوطة من الشاعر نفسه.

(٣) محمد التهامي سيد أحمد: ولد في المنوفية في مصر عام ١٩٢٠م، حصل على الشهادة العالية في الحقوق، يرأس تحرير مجلة رسالة الإسلام، عمل في المحاماة والصحافة، ومديراً للإعلام بجامعة الدول العربية له عدة بحوث ودواوين منشورة.

(٤) أنا مسلم: ٤٥.

وذكرك أعيا لسانَ الزمان ... لعمق الحكايا وطولِ السِيَرْ
أيا قدسُ يا ملتقى الأنبياء ... ومن ذاق أمرَ السماء فائتمرْ
ويا واحةً منذ فجرِ الوجود ... تجمّع فيها الهدى وانتشرْ
تربى النبيّون في حجرِها ... وأرضعت الحقَّ حتى كَبُرْ
ولمّا بمكة هلّ الضياء ... فأعشى قريشاً وزاغ البصرْ
تدلى على القدسِ خيطُ الرجاء ... وكان الهدى والمنى المنتظرْ
وفُتّح في القدس بابُ السماء ... وجاء لنا المصطفى بالخبرْ
فيا قدس يا راحةً للقلوب ... ويا سورةً من طوال السُّوَر
بها خفقة من جناح البراق ... تَبقّى توهجُها واستمرْ
وأول داعٍ أقامَ الصلاةَ ... أدار إليها التفاتَ النظَرْ
أيا قدسُ ديس المكانُ الجليل ... وغطّى على الطهر رجسٌ أَشِرْ

إن لمدينة القدس سيرة عاطرة عبر التاريخ، ومكانة سامية في قلوب المسلمين. إنها ملتقى الأنبياء الذين بلّغوا رسالات ربهم، وحملوا دعوة التوحيد. ومنها انتشرت هذه الدعوة في نواحي الأرض. وحين كُذّب رسول الله من قبل قومه قريش، شرّفه الله برحلة الإسراء والمعراج لتمسح عن نفسه الحزن والعناء. وحملت لنا هذه المنحة الإلهية كثيراً من الأخبار والتشريعات. فكانت هذه الأرض المباركة موطن خفقة جناح البراق، وأول قبلة توجه إليها المسلمون.

ويذكر الشاعر نبيل محمد الأصباشي[١] حادثة الإسراء والمعراج في قصيدته التي أشار فيها إلى تكذيب المشركين لهذه الحادثة رغم كونها دليل صدق رسالة الرسول الكريم. ولكنه الضلال الذي أعمى بصيرتهم. يقول[٢]:

وسريتَ نحو القدسِ تلتهمُ الخطا ... وعرجتَ نحو ((المنتهى)) عداءَ
فتعجب الجهلاءُ من هذا الذي ... أسميتَه المعراجَ والإسراءَ
هل يرعوي قومُ الجهالة بعدما ... أنطقتَ فيهم حجةً بكماءَ؟
ها قد سريتَ وقد عرجتَ وإن في ... هذا دليلَ محجةٍ بيضاءَ

هذا، وقد أفرد شعراء آخرون قصائدهم للحديث عن مترلة فلسطين وحادثة الإسراء والمعراج. ومن أولئك الشعراء: يوسف العظم، محمد المنتصر الريسوني، أحمد محمد الصديق، عبد الرحمن العبادي.

فالشاعر يوسف العظم يقول في قصيدته ((يا قدس))[٣]:

يا قدسُ يا محرابُ يا منبرُ ... يا نورُ يا إيمانُ يا عنبرُ
أقدامُ من داست رحابَ الهدى ... ووجهُ من في ساحها أغبرُ؟
من لوّث ((الصخرةَ)) تلك التي ... كانت بمسرى أحمد تفخرُ؟
ودنس ((المهدَ)) على طُهرِه ... إلا عدوٌّ جاحدٌ أكفرُ
والبغيُ مهما طال عدوانُه ... فاللهُ من عدوانِه أكبرُ

---

(١) نبيل محمد الأصباشي: من مواليد حماة ١٩٥٣م. تخرج من جامعة دمشق، وحصل على دبلوم الدراسات العليا، ويعمل حالياً مدرساً في الإمارات، له ديوان مطبوع. انظر ديوانه لحن الجراح: ١٢١.

(٢) لحن الجراح: ١١١.

(٣) في رحاب الأقصى: ١١.

ويواصل الشاعر -بعد أن وصف القدس بهذه الصفات المتعددة- حديثه عنها في معرض دعوته المحرضة على الثورة والصمود في وجه الباغي الأثيم. فيقول[١]:

يا قدسُ يا محرابُ يا مسجدُ ... يا درةَ الأكوانِ يا فرقدُ
سفوحكِ الخضرُ ربوعُ المنى ... وكم دعانا للهدى مرشدُ
أقدامُ عيسى باركتْ أرضَها ... وفي سماها قد سرى أحمدُ
أبعد وجهٍ مشرقٍ بالتُّقى ... يطلُّ وجهٌ كالحٌ أربدُ

ويمضي الشاعر مستعرضاً بعض صفحات التاريخ المشرق في رحاب القدس، فهي موطن البطولات والانتصارات الإسلامية، كما أنها موطن الوحي ومهد الأنبياء، وهي الأرض المباركة بنص القرآن. يقول[٢]:

القدسُ في أفقِ العلا كوكبُ ... تشعّ بالنورِ فلا تعجبوا
أيامُها بالحقِّ وضاءةٌ ... كانت بأطرافِ القَنا تُكتَبُ
يا روضةً كانت لنا مرتعا ... وكوثراً من فيضه نشربُ
وجنةً فيها ربيع المنى ... في ظلها أكبادُنا تلعبُ

* * *

الوحيُ والتنزيلُ والأحرفُ ... والآيُ والإنجيلُ والمصحفُ
وسورةُ الإسراءِ ما رُتِّلتْ ... إلا وأسماعُ الدّنا تُرهَفُ
تباركُ القدسَ وما حولها ... وصخرةُ القدسِ بنا تهتفُ

(١) في رحاب الأقصى: ١٣. والقصيدة متعددة القوافي.

(٢) في رحاب الأقصى: ١٤.

وفي قصيدة ((هوية الأقصى)) يقصر الشاعر حديثه على منزلة الأقصى ومكانته في عقيدة المسلم. فيقول[١]:

إنما الأقصى عقيدة ... ووسامٌ وقصيده
وهو صرحٌ أبتِ العلـ ... ـياءُ إلا أن تُشِيده
بارك الله حواليْـ ... ـهِ بآياتٍ مجيده
وهو أرضُ النورِ فيه الـ ... ـمصطفى أرسى سجوده
وهو رمز للمعالي ... زيّن التاريخُ جيده

وبعد هذه اللوحات المشرقة التي عرضها الشاعر يتابع قصيدته مستعرضاً لوحات أخرى من تاريخ الأقصى المبارك. يقول[٢]:

عمرٌ يطرق أبوا ... ب العلا يرعى جنوده
وحسامٌ من صلاح الـ ... ـدّين يجتاح قيوده
فارس الحلبةِ يعلي ... في حمى الله بنوده
إنما الأقصى عقيدة ... في ذرا العزِّ وطيده

وفي قصيدة ((الإسراء والمعراج والفجر الوليد)) للشاعر محمد الريسوني، وصف الشاعر رحلة الإسراء بأنها آية الله. وذكر إمامة الرسول الكريم للأنبياء فقال[٣]:

---

(١) قناديل في عتمة الضحى: ١٣.

(٢) المرجع السابق: ١٤.

(٣) ضحيفة النور- صحيفة مغربية يرأسها الشاعر نفسه: ١٥- رجب ١٤٠٩هـ، ص٦. والقصيدة متعددة القوافي.

آيــة الله علــى الخلــق زهــت تسكب الشوقَ بشريان الوجــودْ
راحت الــدنيا تغــني حلمَهــا ويناغي شــوقُها فجــرَ الخلــودْ
أحمدٌ أســرى بــه ربُّ الســما فاجتباه للهدى يحــدو العهــودْ
وطىءَ الأقصــى يــؤم الأنبيــا ءَ يضوي قلبَــه نــورُ الســجودْ

ثم وصف رحلة المعراج إلى السماء آية أخرى من آيات صدق نبوته عليــه الصلاة والسلام. إذ يقول[1]:

يومَ معراجِ الرســولِ المصــطفى ألقٌ ينــداحُ في ليــلِ الشــرورْ
شهد الآيــاتِ تتــرى فانجلــت حجبُ الدنيا وأســتارُ الــدهورْ
فمضى في مهرجان مــن ســنا يعبر الآلاءَ صــبحاً مــن عــبيرْ
غشــي الأنــوارَ تزهــو فــدنا فتــدلى، إنــه عــرسُ بشــيرْ
ثبت القلبُ علــى الحــق فمــا زاغت العينُ، وفي النفس عطــورْ
نعمت روحه بالرضوان وانـــ ـــداح في جسمه فيضٌ من حبورْ

وأخيراً يذكر الشاعر حدثاً مهماً حصل أثناء هذه الرحلــة، وهــو فــرض الصلاة، ويصفها بأنها الضياء والصلة الوثقى بين العبد وربه، والروض الذي ينعش القلب السقيم. يقول[2]:

فرض الله على الخلــقِ الصــلا ةَ ضياءً يــزرع الخــيرَ العمــيمْ
صــلةً وثقــى ســناءً مــن ودا دٍ وروض ينعش القلبَ الســقيمْ
ربوةٌ رقّــت كأنفــاسِ الصــبا زانها صــبحٌ كرفّــات النســيمْ

(١) صحيفة النور: ٦.

(٢) صحيفة النور: ١٠- رجب ١٤٠٩هـ، ص٦.

عالَمٌ يزهـــو بأضـــواء الهـــدى يصـــل العبـــدَ بإنعـــام نضـــيرْ

ويصور أحمد محمد الصديق هذا الحدث الغـيبي في قصـيدته: ((الإسـراء والمعارج)) ممهداً بالحديث عن حال الرسول الكريم بعد رجوعه مـن الطـائف حزيناً مهموماً. فيأتي الإسراء والمعراج منحة من الله لنبيه؛ لتمسح عن نفسه مـا آب به من كرب وعناء في رحلته إلى ثقيف. يقول[١]:

لحظةٌ والـبراقُ يهـبط في البـا ـبِ وجبريـلُ ممسـكٌ بعنانـهْ
قم حبيبَ الرحمَنِ حييت لا تيـ ـأسْ وهبّ النبيُّ مـن أحزانـهْ
واعتلى صهوةَ الـبراقِ وقـد أو دعَ سـرّاً في قلبـه وكيانـهْ
ورنـا فـالوجود لوحـةُ إبـدا عٍ عظـيمٍ في عينـه وجنانـهْ
يلحظ الكونَ لمحةً تتبع الأخـ ـرى وذكرُ الرحمن فوق لسانهْ

ثم يمضي الشاعر في استلهام هذه المعجزة الغيبية مبرزاً صـفات القدسية والبركة التي أسبغتها هذه الرحلة على القـدس والمسـجد الأقصى فيقول[٢]:

وتجلـت في ناظريـه روابي الـ ـقدسِ عقداً يزهو بريـقُ جمانـهْ
حيث حطّ الرحالَ في المسجدِ الأقـ ـصى فيزداد فيه طهـرُ مكانـهْ

ويتابع الشاعر جزئيات هذه الرحلة من إمامة الرسول للأنبياء واطلاعه على الغيبيات، وما فيها من دروس ومواعظ ووعيد وتشريع. ويختم القصيدة بعـرض

(١) نداء الحق: ١٧١.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

صورة الواقع الأليم لأرض المسرى، وما آل إليه حال الأمة من نكوص عن الهدى وفرقة وخلاف.

والقصيدة الأخيرة في هذا المجال للشاعر عبد الرحمن العبادي[١]، ويسير فيها على نسق قصائد الشعراء السابقين الذين استلهموا حادثة الإسراء والمعراج. يقول[٢]:

شقَّ الفضاءَ له نورٌ ولألاءُ ... وفي السماءِ له ذكرٌ وإنباءُ
قد أزهرَ الكونُ مزهواً بأحمدِه ... وفيه للمرسَل المبعوثِ إطراءُ
وكيف لا تحتفي الأكوان قاطبة ... بالمرسل الفذّ وهو الغيث معطاءُ؟

ثم يوجه حديثه للرسول الكريم مبرزاً جلال الحدث[٣]:

يا سيدي ورحابُ الكون كان لها ... من نورِكَ الفذّ أضواءٌ وأضواءُ
لما سريتَ بليل في الدجى سطعتْ ... من شمسِ طلعتِك الغراءِ أنحاءُ
لقد سريتَ إلى الأقصى فكان له ... من دارةِ العزّ آيات وآلاءُ
ومنه جزتَ إلى السبع الطباقِ فما ... ونى البراقُ وما في الأمرِ إبطاءُ
بلغتَ في العز شأناً لا يطاوله ... حتى ملائكةُ الرحمنِ لو شاؤوا

---

(١) عبد الرحمن علي العبادي: ولد في إمارة دبي عام ١٩٥٢م. درس في المعهد الديني بقطر، ثم حصل على الشهادة الجامعية في التربية، وعمل مدرساً في مدارس دبي، ثم مديراً لمنطقة دبي التعليمية، ثم حصل على الدكتوراة. وله ديوانان شعريان، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٧٥.

(٢) بشائر الفجر: ١٥.

(٣) المرجع نفسه: ١٦.

ويتابع الشاعر قصيدته مستوحياً هذه الحادثة، ومثنياً على الرسول الكريم. ثم يستعرض صورة الماضي المجيد؛ ليبرز بعدها صورة الحاضر المرير، ويستنهض في الختام عزائم رجال الأمة لاسترجاع الأمجاد والمقدسات.

وبهذا نلمح من خلال هذه النظرة لبعض النماذج التي عالجت موضوع مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى أن معظم الشعراء الذين تحدثوا في هذا المجال قد اجتمعوا على عدة معان، تكررت في قصائدهم، ذلك أن الموضوع يمثل باعثاً قوياً لدفع الشعوب الإسلامية للجهاد والتضامن لإنقاذ الأرض المباركة من براثن العدو الغاشم.

obeikandl.com

المبحث الثاني

كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام

منذ اللحظة الأولى التي أشرق فيها نور الإسلام في الجزيرة العربية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومنذ أن وصل الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ليقيم فيها نواة دولة الإسلام، واليهود يكيدون للإسلام وللرسول، ويتربصون بهما الدوائر بغياً وحسداً. مع ما يجدونه في التوراة عن صدق نبوته عليه الصلاة والسلام. ومع اللين والتسامح الذي عامل به النبي الكريم اليهود عندما هاجر إلى يثرب، والمعاهدات التي عقدها بين المسلمين واليهود، فقد ظل اليهود يقاومون دعوة الإسلام، وينشرون الأكاذيب والتشكيك حولها، ويتآمرون ضدها بغية الإطاحة بها والقضاء على قائدها. غير مكترثين بالمواثيق والعهود التي عقدوها مع المسلمين. إلى أن أمر الله رسوله بإجلائهم بالقوة من المدينة المنورة. ومنذ ذلك التاريخ البعيد وحتى اليوم عُرف اليهود بكل لؤم وخسة في الأخلاق وبارتكاب الجرائم الوحشية والهمجية[1].

وقد استغرق الحديث عن بني إسرائيل في كتاب الله السور الطوال في مختلف مراحل النزول؛ يتحدث عن صفاتهم وطباعهم وأخلاقهم وبعدهم عن الحق

---

(١) انظر ملف الانتفاضة: ٤٢-٤٣.

وتحريفهم له، وشدة عداوتهم للمؤمنين[١]. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٥/٨٢].

وهذه السيرة الوضيعة لليهود مع الإسلام إبان ظهوره وحتى انتشاره وانتصاره ما هي إلا امتداد للسيرة الشنيعة لهم مع الأنبياء والمرسلين قبل الإسلام. والمتأمل في التاريخ لا بد أن يتكشف له بوضوح أن أمة اليهود هي بحق أمة المكر والإثم والشر والعداء. وأن أمة من الأمم لم تشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وعناد وكنود وتنكر للهداية ومقت للمهتدين؛ مما جعلها محطاً لغضب الله وسخطه[٢].

((وفي هذا العصر صادفت أطماع اليهود وآمالهم مواقع مملوكة للمسلمين، وأماكن مأهولة بالمسلمين. ففي بيت المقدس قبلتهم وهيكلهم، وفي فلسطين اختاروا دولتهم، وفي أراضي النيل والفرات محط أطماعهم. فتطلب ذلك منهم - قبل تنفيذ أغراضهم- أن يشحنوا قلوبهم ببغضنا، ويشحذوا سلاحهم لقتلنا، ويعدوا العدة للقضاء علينا، وإلاّ فلا دولة ولا حدود ولا هيكل ولا تلمود))[٣].

وقد تناول الشعراء هذا الموضوع في لمحات يسيرة جاءت في طيات قصائدهم ومن ذلك ما جاء في قصيدة ((شكوى)) للشاعر محمود مفلح، حين يبثّ شكواه المريرة. فيقول[٤]:

---

(١) انظر على طريق الانتفاضة المباركة: ١٤.

(٢) انظر: قبل أن يهدم الأقصى: ١٥.

(٣) قبل أن يهدم الأقصى: ٢٠.

(٤) الراية: ٣٨.

يا سيدي وأنا المقتولُ من ظمإٍ ... والماء يجري كما الياقوت قرب يدي
يا سيدي أمةُ الإسلامِ مثخنةٌ ... تعاورتها سهامُ الغدرِ والنكدِ
أنّى تلفّتَّ لا تلقى سوى بلدٍ ... يشكو مرارةَ أيامٍ إلى بلدِ
خناجرٌ طعنتْها وهي مدبرةٌ ... ومثلُها طعنتْ في الصدرِ لم تَحِدِ
وإن لي مسجداً عاث اللئامُ به ... ومنبراً لم يزل يهتزُّ في خَلَدي

يصف الشاعر العدو بالغدر ويشكو كثرة الجراح التي تعانيها أمة الإسلام. ثم يصفهم باللؤم والإفساد، فلم تسلم من شرهم المساجد ولا المنابر.

ويبرز الشاعر عمر الأميري ضلال اليهود وما تنطوي عليه نفوسهم من مكر وبغي وضلال وخداع. فيقول[1]:

مكرُ اليهود وبغيُهم وضلالُهم ... بُعِثَتْ به الأنصابُ والأزلامُ
السمُّ في الدسمِ الشهيّ، وعالَمٌ ... في الجاهليةِ كالسوامِ يسامُ

ومن قصيدة ((وجه تقلب في السماء)) ذكر الشاعر صفات العدو في قوله[2]:

نبكي على ((الأقصى)) الأسيـ ... ـرِ وفي ((الخليلِ)) لنا منادِبْ
في ((القدسِ)) في ((الجولان)) في ((سينا)) تمزّعنا مخالِبْ
أعداؤنا لدٌّ وقا ... حُ البغي في ختلِ الثعالِبْ
يستقطبون لحربنا الـ ... أشتاتَ في كيدٍ مواظِبْ

(١) من وحي فلسطين: ١٣٨.

(٢) من وحي فلسطين: ١٦١.

يصف الشاعر الأعداء بصفات الوحشية والبغي والمكر والخديعة. ويذكّر بتجمّعهم لحرب المسلمين وهم شراذم الآفاق. وفي ذلك تعريض بواقع الفرقة والخصومة الذي تعيشه بلاد المسلمين.

أما الشاعر كمال الوحيدي فيدعو إلى الثورة والخروج من الصمت الرهيب الذي يخيّم على الأمة أمام بغي يهود الغدر والإحن. فقد حان الوقت لتطهير المقدسات من دنسهم. يقول[١]:

يا أمة العُرب[٢] إن اليوم موعدُنا ... مع اليهودِ صحابِ الغدرِ والإحنِ
إن لم نطهر أراضينا ومقدسَنا ... من رجسِهم ليتنا في الكون لم نكنِ
أبناؤُنا في غد لن يغفروا أبداً ... هذا التخاذلَ أو يرضَوا بذا الوسنِ

ووقف الشاعر أحمد فرح عقيلان على أساس البلاء الذي حل بالمسلمين، وجعل العدو يجوس في أقداسهم متبجّحاً متمرداً وهو الذي ضربت عليه الذلة والمسكنة، إن أساس البلاء هو استبدالهم بشريعة الإسلام شرائع الضلال التي مزقتهم شرّ ممزّق. فقال[٣]:

لما تبدّلنا شرائعَ غيرِنا ... بشريعة الإسلامِ أصبحنا سُدى
تلك المبادئ مزقت أعلامنا ... وغدا بها الشمل الجميع مبدّدا
وإذا اليهودي الذليلُ يجوس في ... أقداسِنا متبجّحاً متمرّدا

---

(١) حنين وأنين عبر السنين: ٢٣٦.

(٢) يخص الشاعر العرب بهذه الدعوة، وإن كان المسلمون كافةً مطالبين بالدفاع عن مقدساتهم، ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر فضل العرب الأوائل في حمل رسالة الإسلام إلى الآفاق.

(٣) رسالة إلى ليلى: ٧٩.

إن الذي كتب اليهودَ أذلّةً كتب العلاءَ لحزبه والسؤددا
جيشُ العروبةِ حين أعلن أنها دينٌ أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما صمدت لفئرانِ البريّة شُرّدا

وفي قصيدة ((عيد اللاجئ)) يصف الشاعر نفسه اليهود بالذلة والبغي والطغيان وحب الفساد، معلناً أطماعهم الدنيئة. فيقول[1]:

أيُّ عيدٍ وطغمةُ الذلِّ تاهوا واستباحوا جماجمَ الأجدادِ؟
والربوعُ المقدساتُ الغوالي دنّستها شراذمُ الأوغادِ
والعدوُّ الوضيعُ يسخر مني ويدوس الرفيعَ من أمجادي
وعريني تختال فيه كلابٌ تتحدى مخالبَ الآسادِ
معلناتٍ بأن ملك يهوذا من حمى يشرب إلى بغدادِ

أما الشاعر كمال رشيد فيجيب شاعراً آخر يحنّ إلى اللقاء على أرض القدس ليجتمع شمل الأحبة، فيبادره الشاعر بقوله[2]:

بُدّل الحال واعترتنا سنون وطُردنا من أرضِنا والمربعْ
أيها الشاعر الكبيرُ اعتذارٌ فالأفاعي في أرضِنا تتبرقعْ
والأعادي تعدّ كيداً وحقداً أي حقدٍ من حقدِ صهيون أجشعْ
إن هُزمنا فللزمانِ اختلافٌ وفِعالُ الرجالِ تبني وترفعْ

إنه يصف المحنة التي يعانيها أبناء الأرض المقدسة؛ فقد أجبروا على الرحيل

(١) جرح الإباء: ٥٥-٥٦.
(٢) شدو الغرباء: ٤٦.

ظلماً وعدواناً وحقداً من العدو الغادر الدخيل، وليس أبشع من حقد بني صهيون. ولكن الأيام دول وما زال الأمل معقوداً على رجال الأمة الأحرار.

ويعلن الشاعر نفسه في قصيدة ((نداء إلى الأحياء)) أن سياسة الغدر والإجرام هي من طبائع اليهود وصفاتهم. فليس من المستغرب أن يتجرؤوا على حرق الأقصى؛ فتلك أمانيهم وأحلامهم في تدميره وبناء هيكل سليمان المزعموم على أنقاضه. كما يعلن أن حربهم مع الإسلام قائمة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ٢/١٢٠]. يقول[١]:

يا موطنَ الإسراءِ خصمُك غادرٌ ... وسبيلُه التقتيلُ والإجرامُ
إن يحرقوك فليس ذلك بدعةً ... في دينِهم بل إنها الأحلامُ
حربٌ على الدينِ الحنيفِ وإنها ... لطويلةٌ ما طالتِ الأيامُ
أسفي على الأقصى وقد عبثت به ... نارُ العدوِّ وقد علاه قتامُ

ويطوف الشاعر الحبيب المستاوي بآفاق العالم ليرى اليهود وقد تحكموا بثروات كثير من البلاد. ويجليّ أطماعهم وما تنطوي عليه جوانحهم من مكر وخديعة. وهم مع تفرقهم في البلاد إلا أن وحدة الهدف قد جمعتهم في فلسطين المسلمة. فكان لهم النصر والسيادة في العالم، وليت المسلمين يتعلمون من ذلك درساً في ثمار التضامن والوحدة. قال[٢]:

سادةُ الدنيا يهودٌ مَن ترى ... يملكُ الماسَ ويُغري بالذهبْ؟
قد بلوناهم فما كانوا سوى ... أهل مكرٍ ومراءٍ وكَذِبْ

(١) شدو الغرباء: ٣٢-٣٣.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ٩/١٤٧.

قُطّعـــوا في كـــل أرضٍ أُمـــا ... لم يُصِب أوصـــالَهم أيُّ عَطَـــبْ
وحدةُ الأهدافِ والدينِ اقتضتْ ... منهمُ التوحيدَ إن خطبٌ حـــزَبْ
سبقوا في العلـــمِ والمـــالِ فمـــا ... أُهمل الشرطُ ولا ضاع السـبْ

وفي ضوء ما تقدم من نماذج رأينا أن الشعراء قد أبرزوا فهمهم الإســلامي لأبعاد المعركة العقدية بينا وبين اليهود، كما فهمها الرسول الكريم وأتباعه والقادة المسلمون الظافرون الذين حرروا المقدسات من نير الكفر والطغيان عبر التاريخ، فلا بد لهذا الفهم أن يأخذ طريقه إلى عقل الأمة المسلمة -بعد طول غياب- وإلى عقول الأجيال لتحرير الأرض المباركة وإعادتها إلى المسلمين طاهرة عزيزة، بعـــد معركة فاصلة، دينية الصميم عَقَدية الأساس.

obeikandl.com

المبحث الثالث

استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة

لما كان الشعر تعبيراً عن وجدان الأمة ومواجدها لذا صار هذا الموضوع باباً واسعاً لإبداع الشعراء. فعبر عن ميل النفوس إلى الأنفة والكرامة والسعي نحو الآمال الكبيرة والذرا الشامخة والدفاع عن الحرمات. فلم يقتصر الشعر في هذه الفترة على التفاعل مع الأحداث ووصف الدوافع والأبعاد وإنما صور حلم الثورة وأمنيات التحرير أملاً في تحول الحلم إلى حقيقة والأمنية إلى واقع معيش.

ومع أغلال الإحباط التي صنعتها نكبة (١٩٦٧م) والتي مثّلت عاملاً مثبطاً إلا أن خيال الشعراء استطاع أن يتجاوز هذه العثرة ناظراً إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل وترقب، ففاض الشعر هدّاراً في هذا المجال مستنهضاً ومحرضاً. ومن ذلك قول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة ((الفجر الآتي))[1].

قادمٌ فجري وإن طال الظلام ... ليس يثنيه ضبابٌ أو قتامُ
قادمٌ فجري ومن أشواقِنا ... يتلظى في حواشيه الضرامُ
آن يومُ البعثِ وانشق الدجى ... عن جبين الحق هبوا لا تناموا

---

(١) قادمون مع الفجر: ٢٨.

وبعد هذا المطلع المتفائل بمقدم فجر التحرير، يدعو الشاعر أبناء الأمة إلى الوحدة والعمل الإيجابي والوقوف في وجه العدوان فيقول[١]:

وانهضوا في الله صفاً واحداً ... تنطق الأفعالُ منكم لا الكلامُ
كشّر الباطلُ عن أنيابه ... وحمى الإسلامِ في البلوى يضامُ
فادفعوا عنكم أعاصيرَ العدا ... واتركوا أوكارهم وهي حطامُ

ويرى الشاعر فيما يأتي من أبيات أن تاريخ الإسلام عبر العصور تاريخ مجيد زاخر بالانتصارات والعزة والفخار؛ فيدعونا إلى استرجاع تلك الأمجاد. فيقول[٢]:

رايةُ اليرموكِ فينا ما انطوت ... فارفعوها ترتفع للمجدِ هامُ
وصدى التكبيرِ في أرجائِها ... أين من لبّى إذا حان الصدامُ؟
في سبيلِ الله لا نصرَ سوى ... نصرِهِ، والحربُ بذلٌ واقتحامُ
هكذا ترقى ذراها أمةٌ ... هكذا يرسخُ للحقِّ دِعامُ
هكذا يبرز فينا خالدٌ ... وصلاحُ الدين والجيشُ اللهامُ
هكذا تفتح آفاقُ الدنى ... هكذا والحق يحميه الحسامُ
عزةٌ تجتاح في الله المدى ... وحدةٌ ما عابها قطّ انثلامُ

ثم يختم الشاعر قصيدته الطويلة بابتهال ضارع إلى الله أن يكون عوناً لجند الحق. ويقرر بأن النصر هو النتيجة البدهية لبذل أسباب النصر. يقول[٣]:

---

(١) قادمون مع الفجر: ٢٨.
(٢) قادمون مع الفجر: ٢٨-٢٩.
(٣) المرجع نفسه: ٥٣.

تاقـــت الـــروحُ إلى أمجادِهـــا شبّ فيها الوعيُ وانزاح اللثـــامُ
ونـــداءُ الحـــقِّ يـــدعو جنـــدَه ويقودُ الصحوةَ الجيـــلُ الهمـــامُ
يا إلهي كن لهـــم عونـــاً فمـــن طاب مبداه فما خـــاب الختـــامُ

وقد وقف الشاعر نفسه طويلاً عند هذا الموضوع فنراه في قصيدته ((رسالة من الأعماق)) يبعث بهذه الرسالة ((إلى المسلمين في العالم بشرى التخلص من نير الطغيان)). فيقول[١]:

بدمي أخطّ رســـالتي وأســـطّر وأزفّ مبعـــثَ أمـــتي وأبشّـــرُ
إني أرى عجباً وملءُ مســـامعي كالرعدِ صيحاتُ الرجالِ تكـــبرُ
وكأن بركانـــاً تفجـــر صـــاخباً في كلِ ناحيـــةٍ يصـــولُ ويـــزأرُ
الشعبُ بالإسلامِ يزحف نافضـــاً عنه الركامَ وبالمطـــامحِ يظفـــرُ

يرسم الشاعر صورة مستقبلية مشرقة ليوم الثورة والتمرّد على واقع الهزيمة. يوم أن ينطلق الزحف المبارك بركاناً صاخباً يسحق الطغيان ويظفر بالنصر. وبعد أن بثّ الشاعر روح الأمل والتفاؤل في النفوس، التفـــت إلى جيـــل الصـــحوة مستنهضاً. فقال[٢]:

الصحوةُ الكبرى ومنشأُ نورِهـــا في القلبِ تغذوها الدماءُ فتكـــبرُ
هيا انهضوا ولتنقشع مـــن بيننـــا حُجُب تفـــرّقُ شملَنـــا وتنفّـــرُ
هفـــو إلى رايـــاتِكم راياتُنـــا وغداً أزاهرُنـــا النضـــيرةُ تثمـــرُ
ومعاً نسيرُ على الطريقِ تحوطُنـــا عـــينُ الإلـــهِ بهديـــه نستبصـــرُ

(١) قادمون مع الفجر: ٥١.
(٢) قادمون مع الفجر: ٥٢-٥٤.

ونعود للقدسِ الحبيبةِ دربُنا ... بدمائنا عبرَ الجهاد يقررُ
هذا منارُ السالكين شعاعُه ... يهدي وآيتُه العظيمةُ تُبهرُ
هيا انهجوا نحو الأماني نهجَه ... إن الصباحَ على يديكم يسفرُ

وفي ديوانه ((جراح وكلمات)) يستثير العزائم في ثورة وتصميم. إذ يقول[1]:

حطّموا أسطورةَ البغيِ الأثيمة ... وامحقوا عن أرضِنا تلك الجريمهْ
ليس للغاصبِ في أوطاننا ... موطئٌ إن نحن وطّنا العزيمهْ
اصعقوا الدنيا بزحفٍ كاسحٍ ... واجعلوا من جنةِ العادي جحيمهْ
واشهدي يا قدس في يوم اللقا ... جولةً للحق غرّاء كريمهْ

يستصرخ الشاعر الأحرار لتحطيم أسطورة العدو الذي لا يقهر، ولا يكون ذلك إلا بالزحف الإيماني في تضامن واتحاد وعزيمة لا تُفلّ. وحينها تكون للحق جولة ((غراء كريمة)).

ثم يلتفت الشاعر مناجياً بلاده المحتلة بأنها حمى النور والحرمات، ومنها يستضيء الجندي المجاهد. فهي التي توري في نفسه زند الثورة والعزم الصادق. يقول[2]:

يا بلادي يا حِمى النورِ الذي ... لو مشى في ميِّت أحيا رميمَهْ
شعلةُ الإسلامِ لن تطفئَها ... نفخةُ العدوانِ أو عصفُ السخيمَهْ
نبّئوا ((خيبر)) أنّا أمة ... لم تزل فيها على الظلمِ شكيمَهْ
قمةٌ رغم الأعاصيرِ التي ... زعزعتْها والسياساتِ العقيمَهْ

(١) جراح وكلمات: ٢٨.
(٢) جراح وكلمات: ٢٩.

وفي قصيدة ((الفجر المؤمن)) ينظر الشاعر النظرة التفاؤلية ذاتها، فيترقب -في أمل- الفجر المؤمن ويرى فيه إشعاع الأماني والآمال وقد ملأ نورها الآفاق. ويرى خيول الجهاد وقد تاقت إلى الذرا الشامخة. يقول[١]:

ماذا تعدّ لنا الغيوبُ؟ كأنني ... أرنو فأبصر ثَمّ فجراً مؤمنا
وتشع ملءَ عيونه آمالُنا ... مجداً تسطّرهُ السماء ممكّنا
وإليك يا قمم الرجاء على المدى ... تبقى الصوارمُ مشرعاتٍ والقنا
وخيولُنا أبداً تتوق إلى الذرا ... وكتابنا شمسٌ تضيءُ على الدنى

ومن ديوان ((نداء الحق)) ينشد الشاعر نشيد ((يا أمتي)) مستثيراً العزائم إلى النهوض والأخذ بأسباب النصر. حيث يقول[٢]:

النصرُ من عند الإله ... فأين إخلاصُ السجودِ؟
بيديه أسبابُ الحيا ... ة وكلُّ أسرارِ الخلودِ
عودي إليه وأحسني الـ ... ـجعي وأوفي بالعهودِ
وحذارِ أن تتنكبي ... نهجَ الغطارفةِ الجدودِ
وترسّمي درب المنى ... بالصدق والعزم الأكيدِ
بالعلم والإيمان بالـ ... ـإقدامِ بالوعي الرشيدِ

يرسم الشاعر في الأبيات طريق الخلاص، فلا عز إلا بالإسلام. الإسلام الصحيح إيماناً وعملاً، والسير على نهج الأسلاف في عصور الإسلام الظافرة، حين نصر المسلمون الله فنصرهم. ثم يتابع الشاعر شحذه للهمم فيقرر أن هذا

(١) جراح وكلمات: ٤٨.

(٢) نداء الحق: ١٢٤.

الطريق وحده السبيل إلى استعادة مكانة الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣/١١٠] وهو السبيل إلى الحياة الحقيقية التي تأبى الذل وتؤمن بالحرية. إذ يقول[١]:

هـذا سـبيلُكِ فاسلكيـ ... ـهِ وذا مكانكِ فاستعيدي
يـا أمـتي أنـت العريـ ... ـقةُ حطمـي ذلَّ القيـودِ
ودعـي المـآثمَ والمخـ ... ـضي قـد آن بعثُكِ مـن جديـدِ
تتوثـبُ الآمـالُ والـ ... ـأحـلامُ في صـدرِ الشـهيدِ
بـين الحـنينِ ودفئِـه ... وتطلّـعِ الفجـرِ الوليـدِ
ويظل بعـثُ الـروحِ جسـ ... ـراً خالـداً عـبرَ السـدودِ
مـن قمـة التـاريخ مـن ... نفحـات ماضـيك المجيـدِ

وفي ديوان الشاعر ((الإيمان والتحدي)) دعوات قوية إلى الجهاد والثورة في وجه العدوان، كما ينبىء بذلك عنوان الديوان. ومنه قوله[٢]:

فتمرّد يا شعب إن كنـت حيـا ... وأبيّـاً ولتسـقط الأصـنامُ
الضحايا من القبـور اشـرأبّت ... في ذهول ينشقّ عنـها الرغـامُ
وعيونُ السماءِ تشـفق في حـد ... بٍ علينـا وتأسَـفُ الأيـامُ
بيعت الأرضُ والكرامةُ ديسـت ... وإلى الله يشـتكي الإسـلامُ
وهتافُ الشهيد: لا تنكثوا العهـ ... ـد ورائـي ولتثبـت الأقـدامُ
تلك أرضُ الأجدادِ لا تسـلموها ... لهفَ نفسي أين الأباةُ الكـرامُ؟

(١) نداء الحق: ١٢٥.

(٢) الإيمان والتحدي: ٨٨.

يوجه الشاعر دعوة قوية إلى التمرد على الذل والمهانة والنهوض في عزة وإباء لتسقط أصنام الباطل. ويستدعي صوراً من المعاناة التي يحياها الشعب تحت نير الظلم والطغيان. ويقوّي استثارته للعزائم بإجراء الحديث على لسان الشهيد؛ الذي يهتف بأمته موصياً بالحفاظ على العهد والصمود في وجه البغي.

ولا شك أن هذه الوصية حافلة بالوجدان وحافز إلى الثورة في قوة وتصميم.

ويشفع الشاعر هذه الوصية بنظرة متفائلة إلى المستقبل قائلاً[1]:

يا قيودَ الإرهابِ والعسفِ زولي ... وانقشعْ عن سمائنا يا ظلامُ
إن فجرَ الإسلامِ لابد آتٍ ... ليس فيه إلا الكميّ الهمامُ
ذاك وعدُ السماءِ سجله القر ... آنُ وحياً تشدو به الأعوامُ
وغداً تشرق الحياةُ بفتحٍ ... عبقريٍّ وتخفقُ الأعلامُ
وتخرّ الجباهُ في ساحة الأقْـ ... ـصى ويعلو بعد العبوسِ ابتسامُ

فالفجر آتٍ بإذن الله تحقيقاً لوعد الله بالتمكين لهذا الدين، فيكون الفتح العظيم وتعلو رايات النصر عزيزة خفاقة، وتقام صلاة آمنة مطمئنة في رحاب الأقصى الشريف.

أما الشاعر كمال الوحيدي فيطالب رجال الأمة الأحرار بالثأر؛ ويصور العدو الطاغي وقد دنس الحرمات واستباح المقدسات. وفي ذلك دافع قوي للثورة والرغبة في الثأر، ولكن ويا للأسف من الأمة من يتودد للعدو ويخضع!! ثم يجري

(١) الإيمان والتحدي: ٩٣.

الشاعر حواراً على لسان طفل يستنهض النخوة والإحساس بالكرامة داعياً للثأر ممّن قتل والده، ومعلناً استعداده لخوض المعركة إذا أحجم الكبار. فيقول[١]:

أليس المسجد الأقصى إلينا ... وحيفا والخليل وأرض سينا؟!
أما للثأرِ في دمِكم بقايا ... فيدفعكم لدحرِ المجرمينا؟!
أيرضى مؤمنٌ تقديم وردٍ ... لأعداءِ الإلهِ الخادعينا؟!
أخي طفلي يقول إليك هيا ... إلى صهيونَ لا تترك كمينا
فهذا والدي عنّا تولى ... فخذ بالثأرِ واحذر أن تلينا
وإلا فاعطني الرشّاشَ إني ... أَبَيْتُ بأن يقيمَ الذلُّ فينا

وتابع الشاعر نداءه المستصرخ للأمة مذكّراً بالأمجاد الماضية، وما كان للمسلمين فيها من قوة وعزة. جاهدوا في سبيل الله فأيّدهم الله بجنود من عنده، فقال[٢]:

ألسنا أمةَ الأمجادِ قِدماً ... وأهلَ الساحِ دوماً ما حَيينا
فإن وطِئَ العدوُ لنا ثغوراً ... حَرصنا أن يظلَّ بها دفينا
ولا تهِنوا إذا ما الخصمُ لاقى ... فجندُ الله تحمي المتقينا
وإن غدت المعاركُ عابساتٍ ... فشمّر ساعديك وكن أمينا
لتمضي الطائراتُ مطوّفاتٍ ... يساقطن القذائفَ والمنونا
وأصواتُ الأرامِلِ والثكالى ... ستحرقُ كلَّ من يَحني الجبينا
تمرد أيها العملاقُ حتى ... تكونَ لشعبك الدرعَ الحصينا
وما ترمي فإن الله رامٍ ... وعند البأسِ يمنحُك اليقينا

(١) أنين وحنين عبر السنين: ٢٢٢.

(٢) أنين وحنين عبر السنين: ٢٢٢-٢٢٣.

ويوجه الشاعر أحمد فرح عقيلان نداءه إلى فتية الفتح عشاق الحرية لبذل أرواحهم في إخلاص ويقين؛ ليلقنوا المعتدي درساً أخيراً. وقدم الشاعر صورة بديعة لمن قدم روحه في سبيل الله، وجعل همه العلياء في حين شُغل غيره بمفاتن الحياة ومباهجها. فقال[١]:

يا فتيةَ الفتحِ يا أنوارَ موكبنا ... يا من بطولاتُهُم فعلٌ بلا خُطبِ
حيِّ الفدائيَ يعطي من قنابلِه ... درساً يطيحُ بهم رأساً على عَقبِ
شتانَ من همُّه كأسٌ وزانيةٌ ... ومن على الذروةِ الشماء في اللهبِ
ليس الذي يُمهرُ العلياءَ من دمِه ... مثل الذي يمهرُ الصهباءَ بالذهبِ

وفي قصيدة ((صرخة من الأقصى)) يرفع الشاعر نداء مستغيثاً مستثيراً للعواطف على لسان المسجد الأقصى. فيقول[٢]:

صوتٌ من المسجدِ الأقصى يناديني ... إلى فدائيةِ الإيمانِ يدعوني
يصيحُ والصخرةُ الغراءُ -ناويةٌ ... أين البطولاتُ في الغرّ الميامينِ؟
أبعد أن زفّني عمرٌو إلى عُمَرٍ ... في هالةِ المجدِ والقرآن والدينِ
يعربدُ الكفرُ مخموراً بمئذنتي ... ويستهينُ بقدسي كلُّ ملعونِ

وبعد هذا النداء الصارخ من الأقصى، التفت الشاعر إلى صفحات التاريخ الإسلامي المشرق، في تعبير قوي لاستثارة العواطف وحفز المشاعر، ليترسم الجيل المسلم خطا الأجداد. فيقول[٣]:

---

(١) رسالة إلى ليلى: ٨٦- ٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ٨٩.

(٣) المرجع نفسه: ٩١.

في القادسيةِ واليرمـوكِ خالـدُنا ... وسـعدُنا أعلنوهـا في الميـادينِ
(الله أكبرُ) كم عزّتْ وكم شهدتْ ... في ساحةِ المجدِ من نصرٍ وتمكـينِ
كم جلجلت حول حصنٍ شامخ أشبٍ ... كم رفرفتْ فوق أوربا إلى الصينِ(١)
ودولةُ الظلمِ مهمـا تـبنِ زائلـةٌ ... وإن بدت في انتصاراتٍ إلى حـينِ

والشاعر كمال رشيد يبعث برسالة يبصّر فيها الجيل الإيماني بسبب الذلـة والخضوع الذي تعيشه الأمة، إنه الركون إلى الدنيا والتقـاعس عـن الجهـاد، فيقول(٢):

يا من ركنتَ إلى الحياةِ وطيبِهـا ... الذلُّ في الدينِ الحنيـفِ حـرامُ
والحقُّ أبلـجُ والحيـاةُ قصـيرةٌ ... فعلامَ خوفٌ إن أتـاك حِمـام؟
((من لم يمت بالسيفِ مات بغيره)) ... ولكلِّ نفـسٍ في الحيـاةِ مـرامُ
أين الملايـينُ الـذين نعـدّهم ... أوَ ليس فيهم فـارسٌ مقـدامُ؟
بخلتْ علينا الوالـداتُ بمـثلِهم ... وأتـى علـى آثـارهِم أقـزامُ
شقيتْ بنا الأيـامُ إذ لم نحيِهـا ... ولطالمـا سـعدتْ بنـا الأيـامُ

وبعد هذا اللوم الموجه إلى المتقاعسين يؤكد الشاعر كمال رشيد ما ذهـب إليه الشاعر عقيلان من أن في التاريخ الإسلامي خير نموذج يحتذى. فالحقوق التي

(١) أشب: التف حوله الشجر بكثرة.
(٢) شدو الغرباء: ٣٣.

سلبت بالقوة لا ترد إلا بالقوة. ثم يستدعي شخصية البطل صلاح الدين علّه يعود ليرى ما حلّ بالبلاد التي فتحها. يقول[١]:

نحن الألى خبروا المعـــاركَ قـــادةً ... أيرادُ منَّـــا الـــذلُّ والإرغـــامُ؟
كيف الحقوقُ تضيعُ من أصحابِها ... إن كان فيهم مبـــدأٌ وحســـامُ؟
قم يا صلاح وشاهدِ القدسَ التي ... حررتَها يزهـــو بهـــا الحاخـــامُ
فلعل سفرَ المجدِ يفـــتحُ صـــفحةً ... فيطـــل يـــومٌ مشـــرقٌ بســـامُ

وبعد أن أسهب الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في الحديث عن نكبـــة حزيران وآثارها الوخيمة، عاد ليوقد شمعة أمل تضـــيء آفـــاق المســـتقبل. فقال[٢]:

لا يأسَ فالحربُ أقـــدارٌ ودائـــرةٌ ... وإنه طبـــقٌ يـــأتي علـــى طبـــقِ
مكبلون، ولكـــن في غـــدٍ نبـــأ ... يا نجمُ مَزِّقْ ظلامَ الليلِ وائتلـــقِ
غداً سيشرقُ بالإســـلامِ طالعُنـــا ... بدراً وشمساً وتجلو غـــرةُ الفلـــقِ
والنصرُ بالصبرِ والإيمانِ معقـــدُه ... والمجدُ بالعزمِ والإعدادِ والســـبقِ

إن المسلم لا يعرف اليـــأس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوســـف: ١٢/٨٧] فآفاق الغد ستنشق عن نجم أمل متألق يمـــزق ظـــلام الهزيمة. وبإشراقة القرآن يجتاز الجيل المسلم المحنة إلى شاطئ الأمل المشرق بعـــزة النصر.

---

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

(٢) من وحي فلسطين: ٧٣.

والنظرة التفاؤلية ذاتها نجدها لدى الشاعر في قصيدته ((سيطول الطريق والنصر آتٍ)) إذ وجه الشاعر دعوة قوية إلى المسلمين للتمرد على واقع الهزيمة لتحقيق النصر، بعد جهاد إسلامي يبدأ من القدس وينتهي بإحدى الحسنيين النصر أو الجنة. فقال[١]:

سيرى الكونُ من تمردنا الجبـ ـار ما يسحقُ الطواغيتَ سحقا
إن للفتحِ موعداً راسخَ العزْ م وسعياً إلى الفداء وسبقا
بيعةٌ في الجهادِ شقت من القد س إلى الخلدِ دربَها الوعرَ شقا
سيطولُ الطريقُ لكن نصرَ اللـ ـه آتٍ وعروةُ الله وثقى

والشاعر شريف قاسم يبث الحمية في نفوس المؤمنين بقوله[٢]:

أوّاه ما مات الرجاءُ وفي الربا من بايعوا -دون الهدى- القهارا
العنفوانُ وعزةُ الإيمانِ في أعماقِهم بالنورِ تُضرِم نارا
سيقاتلون الشركَ كيف تبدَّلت أثوابُه ويمزقون العارا
أوّاه ما متنا فيا راياتِنا رِفّي ويا هذا الفدا كن جارا
سنبيعُ غاليةَ الحياةِ بجنةٍ ويعودُ جحفلُنا بنا كرّارا

إن الأمل في الغد لن يموت في قلوب المؤمنين الأحرار ذوي العزة والإباء. فهم الأمل وهم الثائرون لقتال الشرك بشتى صوره وأثوابه، وهم الذين باعوا الحياة الدنيا واشتروا جنة الخلد.

---

(١) من وحي فلسطين: ١٦٧.

(٢) متى تعودون؟: ٦٧.

ثم يتابع الشاعر استنهاضه للحمية وإذكاءه للغيرة. فيقول[١]:

الله أكـــبرُ لـــن نعـــيش أذلـــةً ... جئنـــا لكـــل فضـــيلة نتبـــارى
بالدينِ تأتشبُ القلـــوبُ أخـــوةً ... وبغـــيره ذقنـــا الحيـــاةَ مَـــرارا
بالدين تهتـــزُّ النفـــوسُ أصـــالةً ... ويعودُ ودقُ ســـحابِها مـــدرارا
بـــالله بـــالقرآنِ كنّـــا أمـــةً ... وهدى الرسول يقودنـــا أحبـــارا
أبـــداً ولـــن تحيـــا بعـــزٍّ أمـــتي ... إن لم تحكّـــم بينـــها الأنـــوارا

يقرر الشاعر في الأبيات أن النصر لا يتحقق إلا بعودة صحيحة إلى الـــدين القويم وإلى الكتاب الكريم والثقة بالله جل شأنه، وحينها تهتز النفوس لتنفض عنها غبار الذلة والخنوع، لتعود أصيلة عزيزة ترفض الهوان وتتطلع إلى العزة والنصر.

وفي قصيدة ثانية يؤكد الشاعر ما جاء في أبياته السابقة من رســـم لطريـــق النصر والعزة. إذ يقول[٢]:

ما حرّر الأقصى السجينَ مهـــرّجٌ ... أو عاش للجُلّى أخـــو خســـرانِ
والقدسُ غافيةٌ علـــى أحزانِهـــا ... تشكو المصابَ المـــرَّ للركبـــانِ
للمـــؤمنين بـــربِهم وبـــدينِهم ... وجهاد هذا الجيـــلِ كالفرســـانِ
فإذا بها اختضبَ الترابُ بـــدافقٍ ... من كل قلـــبٍ طـــاهرٍ حَـــرانِ
وتجاوبت أصـــداءُ كـــلِّ كتيبـــةٍ ... تأبى القعودَ على الهـــوانِ الجـــاني
وتدافعتْ للموت عـــبرَ ملاحـــمٍ ... وعلا مع التكـــبير كـــلُّ لســـانِ
إذ ذاك تنهدّ القـــلاعُ وينجلـــي ... صبحُ الخلاص بأوجهِ الشـــجعانِ

(١) متى تعودون؟: ٦٨.

(٢) المرجع السابق: ٨٨-٨٩.

وتعود للأقصى على وهْجِ القنا رايائُنا ميّاسةَ الخفقانِ
فلتنطلقْ أفواجُنا وسلاحُها سيفٌ يوشّيهِ سنا القرآنِ

يرسم الشاعر لوحة مشرقة للمستقبل، فيصور القدس وقد شكت ما بها إلى المؤمنين الأحرار المتعطشين إلى يوم الثأر، فإذا بهم يهبّون إلى نجدتها مخضبين الثرى بدمائهم الزكية، وتتدفق الكتائب من كل حدب وصوب يحدو ركبها صوت التكبير فتنهدّ قلاع الطغيان ويتجلى صبح الخلاص، وتعود راية الإسلام عالية خفاقة في سماء الأقصى، فليس سوى الجهاد يعيد القدس عزيزة أبيّة.

وفي قصيدة ((على طريق الفداء)) يعلن الشاعر محمد المنتصر الريسوني ثورته على البغي وانطلاقه نحو الثأر. فيقول[1]:

بمضائي أسحقُ البغيَ وأوغادَ العنادِ
من جراحي أزرع المو تَ بأنفاقِ الفسادِ
من معاناةِ الثكالى في خيامٍ وبوادِ
أصنع العزَّ طيوباً تتفيّاها بلادي
من دمي أنسج نصراً تلو نصرٍ في امتدادِ
وإلهي وكتابي في الرزايا هو زادي
وعلى درب النبوّا ت ألاقي كلَّ عادِ
لا أخاف الهولَ والقر آنُ يحدو للجلادِ
هو في الأعماق عزمٌ وعلى الأدهارِ هادِ

(١) على درب الله: ٤٥-٤٦.

ثم يسجل الشاعر عزمه على الجهاد، ورفضه حياة الذل. قائلاً[١]:

إنـــــي صـــــانعُ مجـــــدٍ ... في ســـــهولٍ ووهـــــادِ
ففلســـــطينُ تسابيـــــ ... ـــــح الأمـــاني في فـــؤادي
ســـوف لا أطـــوي جنـــاحيّ ... علـــــى ذل الكيـــــادِ
كبريـــاءُ الجـــرحِ أملـــتْ ... عهـــدَها في كـــلِّ نـــادِ
يـــورق الصـــبحُ بـــ (يافـــا) ... مـــن بطـــولاتِ جهـــادي

ومن قصيدة أخرى للشاعر نفسه نراه وقد وجّه نداءه إلى أمته محرضاً إياها على الصمود، والتمسك بالقرآن الكريم فهو الصباح المرتجى والهادي إلى المعـــالي يقول[٢]:

يا أمتي قرآنُـــكِ الهـــادي تشـــدّ ... كِ للمعالي الخالـــداتِ ذخـــائرُهْ
تتطلعين إلى الصـــباحِ المرتجـــى ... وصباحُك الورديُّ غرَّد طـــائرُهْ
ثوري فأولى القبلتين ومربعُ الـــ ... ـــعزِّ الأثيلِ غدا الشُّرودُ يساورُهْ
مسرى النبي محمدٍ سبحان مـــن ... أسرى به ليلاً تفـــاوحَ عـــاطرُهْ
ثأر الجراحِ يصيحُ يصرخُ غاضـــباً ... أين المكارمُ والإبـــا ومفـــاخرُهْ
إن الجهادَ طريقُنـــا نحـــو الســـنا ... حيث العلا الأبديّ يورقُ ناضرُهْ
نُرسي به فوق البسيطةِ منهجَ الـــ ... إسلامِ نُعتقُ مـــن تَقـــتَّمَ نـــاظرُهْ
فإذا الحياةُ مواكبُ الأعراسِ تنـــ ... ـــشر ظلَّها أمناً تجود مـــواطرُهْ

---

(١) على درب الله: ٤٦.

(٢) مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٩٢.

ويهيب الشاعر محمد التهامي بأبناء الإسلام أن يمضوا إلى الجهاد، وينفضوا عنهم غبار الدعة والاستخذاء، فالمكارم لا يطلبها النائمون. يقول[١]:

داعي الجهادِ دعا الغداةَ جموعَكُم ... فتهيؤوا واستنفِروا النوّاما
وتخيروا للموتِ كلَّ وسيلة ... ضلّ الذي حسب الجهادَ كلاما
يا غارس الأوهامِ حسبُك جانياً ... أن تحصدَ الأضغاثَ والأوهاما
إن الذي طلب المكارمَ نائماً ... وجد المكارمَ كلَّها أحلاما

ويندد الشاعر بالمتقاعسين عن الجهاد خوراً وانهزاماً. فيقول[٢]:

يا نائماً إن الجهادَ فريضةٌ ... فوق الرائضِ كلِّها تتسامى
إن صمتَ أو صليتَ غيرَ مجاهد ... فتَّ الصلاةَ وما كسبتَ صياما
إن لم يقمْ للحق شعبٌ مؤمنٌ ... جعل الشهادةَ في الجهادِ مراما
أكلوه وهو على المذلةِ نائمٌ ... ورموه في عرضِ الطريقِ حُطاما

ويدعو الشاعر محمد نبيل الأصباشي إلى نبذ حياة الدعة والراحة وسلوك طريق الجنان، طريق الجهاد في سبيل الله. وذلك في قوله[٣]:

خلِّ عنك الهوى وغنجَ الحرائرْ ... والتمس للوغى سبيلَ المخاطرْ
والتمسْ للجِنانِ رفرف عدنٍ ... سندسي الرياضِ زاهي الأزاهرْ
واهجر العازفات لحنَ التصابي ... إن لحنَ الأحرارِ عزفُ البواترْ
وصليلُ السيوفِ أعذبُ وقعاً ... من غناءِ المخدَّرات الحرائرْ
يالَثُكل الأقصى ينادي وحيداً ... مستغيثاً ولاتَ حين مُناصرْ

---

(١) أنا مسلم: ٤١-٤٢.
(٢) أنا مسلم: ٤٢.
(٣) لحن الجراح: ٨٨-٨٩.

ويعقد الشاعر مقارنة بين ماضي الأمة الزاخر بالأمجاد وبين حاضرها المترع بالنكبات، علّ هذا يوقظ الحمية والغيرة ويحفز الأحفاد على المضي على إثر الأجداد. يقول[١]:

أين ذاك الفتى سليل بني أيّـ ـوب يزهو بزاحفات العساكرْ؟
أين بيبرسُ والفوارسُ تندا حُ سراعاً وعاصفُ الموتِ هادرْ؟
ما لتلك الأمجادِ غاضت فأضحتْ يوم بادت كأنها طيفُ خاطرْ؟
إيه يا ((قدسُ)) لم يعد سيفُنا اليو م فريّاً وكان بالأمسِ باترْ
لم يعد سيفُنا يصدّ الأعادي بالمنايا وكان للموتِ قاهرْ
لم يعد ينشد العلا وقديماً كان يهوى العلا ويشدو المآثرْ
إيه يا قدسُ شيِّعي حتفَ قومي واعزفي يا جراحُ نزفَ الضمائرْ

تلك هي أبرز النماذج التي تقفنا على معاني العزة والإباء لدى الجندي المسلم الثائر على الظلم، الحريص على الشرف والكرامة، والذي يعد الثأر غايته وواجبه. فيتحدى كل مشقة، ويأنف المذلة والاستسلام ليحيا الحياة الحقيقية ويتخلص من براثن الطغيان وما فيه من إهدار لآدمية الإنسان. فكانت هذه المعاني التي تكررت على ألسنة الشعراء مستوحاة من القيم والمثل الإسلامية.

ومن اللافت للنظر حرص الشعراء على التغنّي بالأمجاد الماضية وإحيائها لبلورة الشخصية وحفز أبناء الأمة على إرجاع العزّ السالف والسير من جديد في ركب الحضارة الإنسانية الراقية، واستلهام الانتصارات خطةً للعمل المقبل[٢].

---

(١) المرجع نفسه: ٨٩-٩٠.

(٢) انظر الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية: ٧٩-١٧٦.

كانت هذه المحاور الثلاثة هي أهم ما دار حوله إبداع الشعراء في هذه المدة (١٩٦٧م-١٩٨٧م). فقد اضطلعوا بدورهم في تعبئة الأمة للوقوف في وجه العدوان ومقاومة المحتل الغاصب بكل وسيلة. فألقوا الضوء على مكانة هذه البقعة من الأرض، وكشفوا خطر اليهود وتاريخهم الأسود، ثم رفعوا صوتهم محرضين على الثورة والصمود في كلمات تنضح بالمشاعر الحماسية الحارة. فكانت الانتفاضة (١٩٨٧م) باكورة ثمار هذه الدعوة الوجدانية الحماسية، وكانت إشراقة شعر الانتفاضة بسماته المتميزة، مما سنبينه -إن شاء الله- فيما يأتي من صفحات.

obeikandl.com